بحث قرآني: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً

كلّ ما ورد في الإسلام مقدّمة لبناء الذات الإنسانيّة ومقدّمة لعروج الإنسان وتركه عالم البهائميّة والحيوانيّة والتوحّش. عندما تقع البشريّة ضمن دائرة التربية الإلهيّة -وهذا ما تستطيع تحقيقه بإرادتها- فسوف تنشأ الحياة الطيّبة في نفوسها وستتعطّر الأجواء ويسودها النّقاء؛ لكن عندما لا يكون هناك مكانٌ لهذه التربية الإلهيّة فسوف تبقى ضمن مستوى الحيوانيّة وستصبح أخطر من سائر الحيوانات.

مجموعة من الدروس القرآنية للإمام الخامنئي التي فسّرها سماحته وشرحها ضمن خطاباته.

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً

طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

النّحل ۹۷

كلّ شيء يشكّل مقدّمة للحياة الطيّبة

كلّ ما ورد في الإسلام مقدّمة لبناء الذات الإنسانيّة. كلّ الفرائض، واجتناب الذنوب، والمستحبّات والأحكام الاجتماعيّة والفرديّة، كلّها مقدّمة للحياة الطيّبة(١)؛ مقدّمة لعروج الإنسان من عالم البهائميّة والحيوانيّة والتوحّش. عندما تقع البشريّة ضمن دائرة التربية الإلهيّة -وهذا ما تستطيع تحقيقه بإرادتها- فسوف تنشأ الحياة الطيّبة في نفوسها وستتعطّر الأجواء ويسودها النّقاء؛ لكن عندما لا يكون هناك مكانٌ لهذه التربية الإلهية ويفقد الإنسان عزيمته وإرادته التي يحتاجها لطيّ المسار الإلهيّ وتخليص نفسه من الأهواء والشهوات البشريّة، وعندما لا يكون هناك مكانٌ لهذه التربية الإلهيّة فسوف يبقى ضمن مستوى الحيوانيّة وسيصبح أخطر من سائر الحيوانات.

وكما لاحظتم طوال تاريخ البشريّة، لقد كان هناك العديد من النّاس الذين برزوا بهيئة أو سيرة الحيوانات وكانوا يسعون في منع البشر عن سلوك المسار الإلهي، الفراعنة، وأمثال قارون ونمرود والشياطين المجسّدة أيضاً كانت تملك أرضيّة الترقّي والكمال. هؤلاء أيضاً لو أنّهم أفاقوا على أنفسهم، وفكّروا وعادوا إلى فطرتهم الإنسانيّة، كان بإمكانهم التقدّم والارتقاء. يقول الله عزّوجل لموسى حين ذهب لمواجهة فرعون: «فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى»(٢) ففرعون أيضاً كان بإمكانه أيضاً أن يتذكّر، لكنّ طغيانه لم يسمح بذلك. طغيان الأهواء النفسيّة، وطغيان طلب الدنيا، وطغيان الأنانيّة، والتكبّر، وطغيان روح البهائميّة في الإنسان، هذه كلّها أمور تعيق التذكّر وتمنعه.

النّظام الإسلامي يسوق النّاس إلى الحياة الطيّبة

هدف از همه‌ی مبارزاتی که ملت ایران به رهبری امام بزرگوار انجام داد تا انقلاب به پیروزی رسید و

همه‌ی تلاشهایی که بعد از پیروزی انقلاب در این کشور انجام شد، تشکیل حیات طیبه‌ی اسلامی بود. اسلام برای انسان، روش زندگی مناسب و لایقی قایل است. اگر تنها این شرایط محقق شد، انسان می‌تواند به سعادت و کمال برسد. تلاش همه‌ی دلسوزان بشر و راهنمایان بزرگ انسان و انبیای عظام و اولیا و مجاهدان فی‌سبیل‌اللَّه در طول تاریخ، این بوده است که این حیات طیبه را برای بشر به وجود آورند. از طرف دیگر، سعی همه‌ی دشمنان انسان و شیاطین و طواغیت آن بوده است که بشر را از این حیات طیبه دور کنند.(۳)

الهدف من كلّ هذا الكفاح الذي مارسه الشعب الإيراني بقيادة الإمام الخميني (قده) حتّى انتصر الثورة الإسلاميّة، وكلّ الجهود التي بُذلت بعد انتصار الثورة الإسلامية في هذا البلد، كان تكوين حياة إسلاميّة طيّبة. الإسلام يحدّد للإنسان نمط حياة مناسب ولائق. فإذا تحقّقت هذه الشروط حصراً، يستطيع الإنسان أن يبلغ السعادة والكمال. مساعي جميع المخلصين من الناس والمرشدين الكبار والأنبياء العظام والأولياء والمجاهدين في سبيل الله كانت تصبّ في خدمة هذا الهدف طوال التاريخ، أن يكوّنوا للنّاس حياة طيّبة. ومن جهة أخرى، يسعى جميع أعداء الإنسان والشياطين والطواغيت لأن يسلبوا البشر هذه الحياة الطيّبة ويبعدوهم عنها.(٤)

النظام الإسلامي -حسب ما وعد القرآن- يسوق النّاس نحو الحياة الطيّبة. والآية القرآنية تقول: "من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياةً طيّبة". يكتسب أيّ شعبٍ الحياة الطيبة عندما يشعر ويرى بأنّ الدنيا والآخرة تسيران وفق مصالحه وباتّجاه أهدافه. تلك الشعوب التي التصقت بالحياة الدّنيا ونجحت في العبور بها نحو مستويات متقدّمة من الكمال، قد لا تعيش حياة طيّبة. الحياة الطيبة تتحقّق عندما تلازم الرفاهية المادية العدالة، والأمور المعنويّة والأخلاق. وهذا ما لا تستطيع سوى الأديان الإلهيّة توفيره للبشر. من جهة أخرى، لا تقتصر الحياة الطيبة على الآخرة. لا يقول الإسلام أنّني أسعى فقط لإعمار حياة النّاس الأخروية ومرحلة ما بعد موتهم، ولا شأن لي بما تكون عليه دنياهم؛ ليس هذا منطق الإسلام.(٥)

الشّاب المسلم، يسعى لتحصيل الحياة الطيبة

الحياة الطيّبة هي الحياة التي يتمّ فيها تأمين السعادة لروح وجسم الإنسان ودنيا وآخرة الإنسان أيضاً؛ الحياة الفرديّة مؤمّنة فيها، ويتوفّر فيها الاستقرار الرّوحي، والاستقرار الجسديّ؛ وفيها

الفوائد، والسعادة والعزّة الاجتماعيّة، والاستقلال والحريّة العامّة. لقد وعدنا القرآن بهذه الأمور. وعندما يقول القرآن: "فلنحيينّه حياة طيّبة"، هذا يعني توفّر كلّ هذه الأمور؛ أي تلك الحياة التي تتوفّر فيها العزّة والاستقرار، والرفاهية، والعلم، والتقدّم، والأخلاق، والحلم والصّفح. نحن بعيدون عن هذه الأمور؛ وعلينا أن نصل إليها.(٦)

شبابنا يرغبون في أن يكون بلدهم الذي هو بمثابة منزلهم، خالياً من الفقر والتخلّف والشّقاء؛ ينعم بالأمن والعزّة والفخر؛ ويسود الحياة فيه الصّفاء والحبّ والبصيرة؛ وأن يكون ميدان العمل والتقدّم والتطوّر مشرّعاً أمامه؛ وأن لا يشعر بالفراغ؛ ويتمكّن من إشباع الأهداف الروحيّة والمعنويّة والسامية التي تراود أيّ إنسان.

هذه الأمور التي تحدّثت عنها، يُعبّر عنها مجتمعة في المصطلح القرآني بالحياة الطيّبة؛ "فلنحيينّه حياةً طيّبة". الحياة الطيّبة تعني الحياة التي تلبّي الأمور المادّية والحاجات الجسديّة وأيضاً الحاجات المعنويّة -العلميّة، العمليّة والروحيّة-. (٧)

---

1) سورة النّحل، الآية ٩٧

2) سورة طه؛ الآية ٤٤

3) كلمته في لقاء مع مختلف الفئات الشعبيّة ٢٠/١٠/١٩٩٨

4) كلمته في لقاء مع مختلف الفئات الشعبيّة والضيوف الأجانب المشاركين في مؤتمر الفكر الإسلامي ١/٢/١٩٩٠

5) كلمته في لقاء مع أهالي مدينة ساري ١٤/١٠/١٩٩٥

6) كلمته في لقاء مع قرّاء القرآن الكريم ١٥/٧/٢٠١٠

7) كلمته في لقاء مع طلاب وأساتذة جامعات محافظة كرمان ٩/٥/٢٠٠٥